علوم الحديث دراية
(١)

بدعة دعوى

الاعتماد على الكتاب دون السنة

مكانة السنة النبوية وحجيتها

الأستاذ الدكتور
خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزازي
أستاذ الحديث وعلومه، بجامعة طيبة
بالمدينة المنورة

دار القبلة للثقافة الإسلامية
مؤسسة علوم القرآن

ⓒ خليل إبراهيم ملا خاطر، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

خاطر، خليل إبراهيم ملا

بدعة دعوة الإعتماد على الكتاب دون السنة/خليل إبراهيم ملا خاطر - جدة، ١٤٣١هـ

٦٣٢ ص؛ ١٧/ ٢٤ علوم الحديث دراية ١

ردمك : ٧-٤٨٠٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- السنة النبوية - دفع مطاعن ٢- الحديث - دفع مطاعن

أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٢٣١ ١٤٣١/٢٧٩٩

رقم الإيداع: ١٤٣١/٢٧٩٩

ردمك:٧-٤٨٠٠-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحفُوظَةٌ لِلمُؤلِّفِ

الطَّبعَةُ الأُولى

١٤٣١هـ

دار القبلة للثقافة الإسلامية

جدة - المملكة العربية السعودية - تلفاكس:٦٦٠٥٥٨٩

مؤسسة علوم القرآن **Uloom alquraan EST.**

دمشق هاتف: ٢٢٢٤٩٩٠فاكس: ٢٢٣٨٤٩٠ص.ب ١٣٢٧٧ موبايل :٠٩٦٦٥٠٥٦٣٩٩٠بيروت تلفاكس: ٠٠٩٦١١/٦٤٠٨٣٢

E-mail: uloom.alquraan@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الطَّيِّبين الطاهرين ، وصحابتِه المقرَّبين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فقد أكرم الله سبحانه وتعالى نبيَّه ورسولَه ، وصفيَّه من خلقه ، وخليلَه سيدنا محمداً ﷺ ، بمنزلةٍ عاليةٍ ، ودرجةٍ رفيعةٍ ، ومكانةٍساميةٍ ، وخصه بخصائص جليلةٍ عظيمةٍ ، وحباه دون خلقه ،... وميَّزه دون رسله عليهم السلام ، وأفرده دون أنبيائه ، واصطفاه دون عباده ، وأضفى عليه من الصفات الكريمةِ ، والأخلاقِ الحميدةِ ، والمكارم العالية الجليلة ، والكمالات الرفيعة ، والمزايا التي لم يتصف بها ـ مجتمعةً ـ سواه ، ولا يتحلى ببعضها إلا الأفذاذ من الرجال ،... صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته ومن اتبعه بإحسان ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

فقد جعله الله سبحانه وتعالى : القدوةَ المثلى ، والأسوةَ الحسنة ، والمنار الأعلى ، المبشَّرَ به من قِبل رسله ، والمأخوذَ له العهد على جميع أنبيائه عليهم السلام ، والمشهودَ له من قِبله تعالى وملائكته .

كان ﷺ نبياً وآدمُ عليه السلام منجدلٌ في طيته ، وهو أول المسلمين ، وخاتم النَّبيين ، وهو أَوْلى بهم من أممهم ، وبالمؤمنين من أنفسهم ، وهو نبي الإسلام ، والرحمةُ المهداة ، مَن جعله ربُّه تعالى خِيرةَ خلقه ، وسيدَ الأنام ، ومنّةً يمتن بها على العباد ، وأَمَنَةً لأمته ، وعمَّمَ رسالتَه ، وتكفَّل بحفظه وعصمته ، وبدينه ، وأَقْسم بحياته ، وببلده ، وله ، ولم يناده باسمه ، ولم يخاطبه بشخصه ، بل بنبوَّتِه

ورسالتِه ، ونهى أن يُرفع صوتٌ فوق صوته ،... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

جعله الله تعالى نوراً ، وفرض بعضَ شرعه في السماء ، وأكرمه بالإسراء والمعراج ، وشقَّ له القمرَ ، وغَفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وتولى الإجابةَ عنه ، وأعطاه جوامعَ الكَلِم ، ومفاتيحَ خزائن الأرض ، ونصره بالرعب ، وجعله إماماً لرسله ، وبعثه في خير القرون ، وعَرض عليه أنبياءَه عليهم السلام ، وأطلعه على المغَيَّبات ، وختم به النبوةَ ، وبدينه الرسالةَ ،... صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

جعله الله عز وجل شاهداً ، وشهيداً ، وأعطاه من الشفاعات ما لم يُعطِ أحداً غيرَه ، وهو أولُ من يُبعث يوم القيامة ، فيكون ﷺ إمامَ الأنبياء عليهم السلام ، وخطيبَهم ، وكلُّهم يُحشر تحت لوائه ،... وهو أولُ من يُجيز على الصراط ، وأولُ من يقرع بابَ الجنة ، وهو أولُ شافع ومشفَّع ، وهو سيدُ الأولين والآخِرين ، وهو مبشِّر الناس إذا أيسوا ، وهو صاحبُ المقام المحمود ، والحوض المورود ، والكوثر ، ولواءِ الحمد ، والوسيلةِ ، والدرجة الرفيعة ، وهو أكثر الأنبياء تَبعاً يوم القيامة ، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

كما أكرمه الله سبحانه وتعالى في أمته بخصائص ـ دنيا وأخرى ـ ولولاه لما منحها ، وإنما أعطاها إكراماً له ﷺ . فجعلها تعالى خير الأمم ، وخصها بالإسلام ، ورفع عنها الإصرَ والأَغلالَ ، وأحلَّ لها الغنائمَ ، وجعل صفوفَها كصفوف الملائكة ، وخصَّها بالجمعة ، والتيممِ ، والصلاةِ على الأرض ، وساعةِ الإجابة يوم الجمعة ، وليلةِ القدر ، ولن يُهلكها بجوع ، ولا يُسلط عليها عدوّاً من غيرها ، ولن تزال على الحق ، وأكمل لها الدينَ ، وأتمَّ عليها النعمةَ ، ويصلِّي

المسيحُ ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ خلف إمامٍ منها ، وجعلها شهداءَ الله في أرضه ،...

كما جعلها جل شأنه شاهدةً للأنبياء عليهم السلام على أتباعهم يوم القيامة ، وهي أولُ من يجتاز الصراطَ ، وأولُ من يدخل الجنة ، وهي محرَّمةٌ على الناس حتى تدخلها ، وخصها تعالى بدخول الباب الأيمن من الجنة ، وسيفديها بغيرها من الأمم ، وجعلها أكثر أهل الجنة ، وسيُرضي نبيَّه وصفيه الكريم ﷺ فيها ، وأجزل تعالى لها الثوابَ مع قلة عملها ، وخصها بدخول الجنة كلها ، وبكثرة الشفاعات فيها ، ودخول الأعداد الكثيرة فيها بغير حساب ، وفيها سادات أهل الجنة ،... وجعلها السابقةَ يوم القيامة ، مع أنها آخرُ الأمم في الدنيا ، وجعل لها علامةً تعرف بها ربَّها جلت قدرته ، حيث يتمنى الكفار لو كانوا مسلمين منها ،...[1].

كما جعل الله سبحانه وتعالى نبيَّه وحبيبَه سيدنا محمداً ﷺ المبيِّنَ لما أراد ، والمفسِّر لمجمل ما أنزل ، والموضِّحَ معنى ما أراد من كلامه ، والمشرِّع وفق ما يريد . صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .

وهو في كل ذلك موحى إليه من ربه تعالى ، كما قال جل شأنه : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[2].

لذا ألزم الله عز وجل الناسَ ـ جميع الناس ـ الإيمانَ به ﷺ ، وطاعتَه ، وجعل الله تعالى طاعةَ رسوله الكريم ﷺ طاعتَه تعالى ، وأن من عصاه فقد باء بغضب

---

(١) انظر : الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن جميع الأنبياء عليهم السلام ، وعظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، ومكانة النبيّ الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم .

(٢) سورة النجم (٣ ـ ٤).

من الله تعالى ، وخسر خسراناً مبيناً ، ومن لم يمتثل أمره ﷺ فقد نفى عنه صفة الإيمان .

كما على الأمة أن تأخذ بفعله ﷺ وقوله وتقريره ، لأنه لا ينطق عن الهوى ، وهو المبلِّغ عن الله تعالى ، وهو ﷺ القدوةُ الحسنة لأهل الإيمان ، ولا يصح العنودُ عنه ، أو التغافل ، ومن فعل فقد ضل ضلالاً مبيناً .

قال الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[1].

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]. في آيات كثيرات .

وطاعته ﷺ ، ومخالفته ، ومعصيته ، هي في حال حياته وبعد وفاته ﷺ سواء ، لا فرق في ذلك البتة ، لأن ذلك كله مستمد من أمر الله تعالى بطاعته ﷺ ، ونهي الله تعالى وتحريمه معصيتَه ، ومخالفةَ أمره ﷺ ، كما في صريح الآية الكريمة : ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ حيث قال الله عز وجل : ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ وأمرُه ﷺ لا يختلف حُكْمُه ، سواء كان ﷺ على قيد الحياة ، أو بعد وفاته ﷺ .

ولأن طاعته ﷺ بعد وفاته هي فرع الإيمان به ، على أنه رسول الله ، المبلِّغُ عن الله تعالى . والإيمانُ به ﷺ ـ أنه رسول الله ـ هو ركن الإيمان ، فمن لم يؤمن

---

(١) سورة الحشر (٧).

(٢) سورة الأحزاب (٢١).

(٣) سورة النور (٦٣).

به على أنه رسول الله ؛ فليس بمؤمن . حيث حصر الله سبحانه وتعالى الإيمانَ بالإيمان به تعالى وبرسوله ﷺ ، حيث قال جل شأنه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ،...﴾ الآية[1].

والرسالة ثابتة له ﷺ في حال حياته ، وباقية له بعد وفاته ، ولا فرق في ذلك أيضاً في حال حياته أو بعد وفاته . وهذا منطوق الشهادتين (أشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) فمن شهد (أن لا إله الله) ولم يشهد (أن محمداً رسول الله) فليس بمؤمن ، ومن آمن به رسولاً ، لزمه طاعته ؛ حياً كان أو ميتاً صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

كما أن طاعتَه ﷺ المأمورَ بها في كتاب الله عز وجل ، ومعصيتَه ومخالفةَ أمره ، المحرمَ ذلك في كتاب الله تعالى ، وبنهي الله عز وجل ، إنما ذلك في اتباع سنته ﷺ ـ من قول أو فعلٍ أو تقريرٍ ـ أمراً ونهياً ، في اتباع الأمر ، واجتناب النهي .

ففي حال حياته ﷺ يُرجع لما يقوله ويفعله ويقرره ، وبعد وفاته ﷺ يُرجع لما كان قد قاله أو فعله أو قرَّره ﷺ .

كما هو الحال في طاعة الله عز وجل إنما هي في الرجوع إلى كتابه الكريم (القرآن الكريم) أمراً ونهياً ، إذ لا فرق في الرجوع .

كما قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2].

فقد أمر الله سبحانه وتعالى بطاعتِه وطاعةِ رسولِه ﷺ ، وعطَف على ﴿ٱلرَّسُولَ﴾

---

(١) سورة النور (٦٢).

(٢) سورة النساء (٥٩).

قوله : ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ لأن طاعةَ ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ﴾ إنما هي من طاعته ﷺ ، لأنه هو الذي أمَّرهم وولاَّهم ، ولأن طاعتَهم مرهونةٌ بطاعتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ .

فإن حصل خلافٌ ؛ فالرجوع إلى الله تعالى فيما حكم في كتابه الكريم ، وإلى النبيِّ الكريم ﷺ فيما قرر في سنته ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ وانظر ضمير العطف هنا . ولم يأمر بالرجوع إلى غير الله تعالى ورسوله ﷺ ، وانظر إلى قوله عز شأنه : ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ ...﴾ فالمؤمن مطيع لله تعالى ولرسوله ﷺ ، ولا يُتصوَّر منه إلا الطاعة والإتباع ، كما سيأتي أيضاً إن شاء الله تعالى .

ومع هذه المرتبةِ العاليةِ ، والدرجةِ الرفيعةِ ، والحظوةِ العظيمة الكريمةِ ، والمقامِ السامي الرفيعِ ، والعلوِّ الشامخِ ، والكمالِ التامِّ ـ في الخَلق والخُلق ـ والثناءِ العاطرِ من قِبل الله تعالى ، والصفاتِ الجليلةِ الجميلةِ الرفيعةِ الكاملةِ ، والذاتِ المنفردةِ الكاملةِ المتكاملةِ ، والقدرِ العالي الرفيعِ ، والمكانةِ العليا عند الله تعالى ، والتقدمِ في العالمين ، والتكامل في التشريع ،...

مع هذا كله فقد ابتُليت السُّنَّةُ النَّبويَّةُ المطهرةُ ، ولحكمة يريدها الله عز وجل ، من يوم صدورها عن النبي ﷺ بمشكِّكين ، حاولوا تقويضَها وإلغاءَها ، فقالوا : (رسول الله بشر ؛ يقول في السخط والرضى ،...).

لكن هذا التشكيكَ سرعان ما زال ـ والحمد لله تعالى ـ بسماع الناس خطابَ النبي الكريم ﷺ : «فو الذي نفسي بيده ، ما خرج منه ـ وأشار إلى فيه ـ إلا الحق»[1].

(١) هذا الحديث رواه أحمد في مسنده (٢ : ١٦٢ ، ١٩٢) وأبو داود في سننه : كتاب العلم : باب كتابة العلم ، رقم (٣٦٤٦) والدارمي في مقدمة سننه : باب ما جاء في كتابة العلم ، والحاكم في المستدرك (١ : ١٠٥ ـ ١٠٦) وقال الذهبي في التلخيص : على شرط مسلم . ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١ : ٧١) وكلهم من حديث عبد الله بن عَمرو رضي الله تعالى عنهما ، ورجاله ثقات .

ثم ظهر العداءُ السافر من بعض الفرق الباطنية والمعتزلة والخوارج ، في نهاية القرن الثاني وبدء القرن الثالث ، ونادى هؤلاء بإلغاء السنة كلها ، والأخذ بالقرآن الكريم فقط ، ولو كان هؤلاء صادقين في أخذهم بالقرآن الكريم لأخذوا بالسنة الشريفة ، لأن القرآن الكريم يأمر المسلمين بالأخذ بالسنة ، لأن السنةَ إنما هي طاعةُ النبي ﷺ ، وامتثال أمره ونهيه .

كما ظهر في فترات متباعدة ، حتى كان عصرنا الحاضر هذا الذي مُلئ بالمتناقضات ، فاشتدت الحملة الشرسة ضد السنة النبوية ، إلى حدٍّ لم يقع في التاريخ ، ولم يحصل في الأزمنة الغابرة ، إذ صرنا نسمع ونرى ونقرأ ، من يطالب بإلغاء السنة النبوية كلها ، ولا يرى صحة حديث واحد ، وأنه لا تصح نسبة حديث واحد إلى النبي ﷺ ، بل جميع هذه الأحاديث النبوية كلها موضوعة ـ حسب رأيه ـ لا تصح نسبتها إلى النبي ﷺ ،... بل طبعت مؤلفات بعناوين في غاية الخطورة (دو قرآن) وَ (دو إسلام) إسلام القرآن وإسلام السنة .

وبناء على هذه الدعاوى : ألغوا كثيراً من أحكام الإسلام ؛ كالزكاة والحج والصيام ،... وغيَّروا كيفيةَ الصلاة ،... لأن ذلك ليس في القرآن .

كما ظهر في غير العالم الإسلامي : كفارٌ يُهاجمون السنةَ النبويةَ الشريفة ، ورسولَها ﷺ ، لأن بالطعن بها وبرسولها ﷺ قضاءً على الإسلام ، وإضعافاً له في نفوس أتباعه ، وتشككاً فيه ، وضعفَ الارتباط به ، لأن السنة النبوية هي الإسلام العملي ، فإذا شُوِّهت وضَعُفت ، ضعُف الالتزام بالإسلام .

كما ظهر إلى جوارهم أناسٌ ينتسبون إلى الإسلام يحاربون السنة النبوية ، ويطالبون بإلغائها ، فما مقصدهم ؟ وفي غير بلاد المسلمين يتكلمون ، ولغير المسلمين يخاطِبون ، وباسم الإسلام ينادُون ، فهل هؤلاء مسلمون ؟

ومن العجب أن هؤلاء إنما ينادون بإلغاء السنة النبوية بدافع الغيرة على

الإسلام ، والدفاع عنه . وهذا منتهى العجب المضحك ، يلغون الإسلام باسم الدفاع عنه .

وسوف أذكر عَرْضاً تاريخياً للعداء للسنة النبوية الشريفة بعد قليل ، إن شاء الله تعالى ، ولا بأس بذكر بعض الأسماء في ذلك .

ولكن :

إن الله جلت قدرتُه ، قد تكفل بحفظ الإسلام ، ولم يترك حفظَه لأحد من خلقه ، مهما ارتفعت مكانته ، وسمت منزلته ، ولو كان ملَكاً مقرّباً ، أو نبيّاً مرسَلاً ، فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

وهذا بخلاف الكتب السماوية السابقة ، حيث ترك حفظها لعلمائها ، ومن هنا جاء التحريف فيها والتبديل والتغيير ، و ،...

ومِنْ حفظ الله تعالى لدينه الإسلام أن جعل السنةَ النبويةَ - وهي وحي أيضاً - مبيِّنةً لمجمل القرآن الكريم ، ومفصِّلةً له ، وموضِّحةً لأحكامه ، ومقيِّدةً لمطلقه ، ومفسِّرةً لعامِّه ، وخاصه ،... فالإسلام كتابٌ وسنةٌ ، وكلٌ منهما وحي من الله تعالى ، أحدهما : متلوٌّ معجزٌ ، متعَبَّدٌ بتلاوته ، وثانيهما : غيرُ مَتلوٍّ ولا معجِزٍ ، ولا متعبَّدٍ بتلاوته ، كما سأذكر ذلك إن شاء الله تعالى ، ولهذا حفظ هذا الدين ، وصانه عما حل في الديانات السابقة .

ولكثرة ما رأيت في هذا العصر - وفي أقطارٍ مختلفة من العالم الإسلامي - من مُعادين للسنة النبوية الشريفة ، ومهاجمين لها : استخرتُ الله عز وجل بكتابة سلسلة في الدفاع عن السنة النبوية الشريفة ، مستعيناً به جل شأنه ، ومستمداً منه وحده تعالى العونَ والتوفيق ، وسائله السداد والصواب ، وراجياً منه تعالى

---

(١) سورة الحجر (٩).

التوفيقَ والفلاحَ ، وآملاً منه جل وعز القبول والنجاح ، كما أسأله تعالى إنجازها ، والانتفاع بها .

والدفاع ـ في نظري ـ ذو شقين . إيجابي ، وسلبي :

ـ **أما الإيجابي** : فهو إظهار محاسن السنة النبوية الشريفة ، ومكانتها ، وحجيتها ،... وعمل السلف الصالح بها ، وحاجة المسلمين إليها ،... وما قام به علماءُ الحديث رحمهم الله تعالى من جهود مضنية في الحفاظ عليها ، وتنقيتها وكتابتها وبيان حجيتها ،...إلخ. بالإضافة إلى الدعوة للتمسك بها واتباعها ، وقرع أبواب الخصوم بها ،... وإيصالها إلى كل مكان ، والعمل على نشرها ، وتطبيقها عملياً ، والتمسك بها قولاً وفعلاً وحالاً ،... وهكذا .

وأما الجانب السلبي : فهو كشفُ عوار المخالفين ، والرد عليهم ، ودحض شبهاتهم ، وفضحهم للناس ، حتى لا يغترَّ بهم أَحدٌ .

وآمل من الله تعالى أن تحقّق هذه السلسلةُ بعضَ الغرض المطلوب منها إن شاء الله تعالى ، لأنه يعجز إنسان واحد ـ مثلي ـ أن يقوم بمفرده ، في هذا العمل ، بل لابد من تكاتف الجهود لتحقيقه والقيام به .

وقد كتبت من هذه السلسلة حتى الآن :

١ ـ تدوين السنة من العهد النبوي إلى زمن التابعين .

٢ ـ بدعة دعوى الاعتماد على الكتاب دون السنة [وهو هذا الكتاب].

٣ ـ السنة النبوية وحي ، وهو في ثلاث مجلدات كبار .

٤ ـ مكانة الصحيحين .

٥ ـ شبهات حول السنة ودحضها .

٦ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة .

٧ ـ خبر الواحد ، إفادته وحجيته .

٨ ـ الإسناد وأهميته ، والرد على المشكِّكين فيه .

٩ ـ الإمام البخاري وصحيحه ، والرد على الطاعنين فيهما .

وعامتها قد طبع ، وأسأله تعالى إنجاز الباقي[1].

ولست أدعي أني أتيت بما لم يأت به غيري ، فهذا بعيد ، لكن حسبي أني جمعتُ من القرآن الكريم ، ومن كتب السنة الشريفة ، ما أمكنني بيان حجيتها ، وأنها وحيٌ من الله تعالى ، وأنها المطاعة المخصوصة ، الداخلةُ في الأمر بطاعة رسول الله ﷺ ، كما أن القرآنَ الكريم : هو المخصوصُ الداخلُ بطاعة الله تعالى في أمره .

ثم ذكرت عمل السلف من الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعين ومن بعدهم رحمهم الله تعالى في التزامهم بها ، والعمل بها ـ علماً وتطبيقاً ونشراً ـ وكيف كانوا يستدلون بالقرآن الكريم عليها ، ويرحلون من أجل سماعها ، بل من أجل سماع حديث واحد .

لأن التمسكَ بها هدايةٌ ، والبعدَ عنها وتركَها ضلالٌ وغوايةٌ . وأن ترك السنة النبوية الشريفة كفرٌ وضلال ، وصاحبَ تلك الفكرة ملعونٌ على لسان النبي المختار ﷺ .

وأن إجماع الأمة منعقدٌ على الأخذ بها ، والتمسك بها ، وأن طاعة النبي ﷺ ، في حال حياته وبعد وفاته سواء ، وأن الأمر بالأخذ بها شاملٌ لمن كان في عصره ﷺ ولمن يأتي بعده ، لا فرق في ذلك أيضاً .

وأن إجماع الأمة منعقد على أن أصول التشريع : كتاب وسنة ، ثم إجماع ، وقياسٌ على واحدٍ منهما ، فمن ترك الأخذ بالسنة النبوية كمن ترك الأخذ بالكتاب ، لأنه عاصٍ لله تعالى ولرسوله ﷺ .

---

(١) انظر مقدمة (خطورة مساواة الحديث الضعيف بالموضوع) ففيه زيادة .

واستكمالاً للفائدة فقد قسمت الكتاب إلى مقدمة وتسعة أبواب :

ـ **تمهيد** : وفيه العداء للسنة النبوية منذ القدم حتى العصر الحاضر .

الباب الأول : وجوب الإيمان به ﷺ على أنه رسول الله ﷺ .

الباب الثاني : وجوب محبته وتوقيره وتعظيمه ﷺ لأنه رسول الله ﷺ .

الباب الثالث : وجوب طاعته ﷺ لأنه رسول الله ﷺ .

الباب الرابع : وجوب طاعته ﷺ بعد وفاته لأنه رسول الله ﷺ .

الباب الخامس : تحريم معصيته ﷺ لأنه رسول الله ﷺ .

الباب السادس : سنته ﷺ وحي من الله تعالى .

الباب السابع : سنته حجة في دين الله تعالى لأنه رسول الله ﷺ .

الباب الثامن : جعل الله تعالى السنة مبيِّنةً للكتاب الكريم .

الباب التاسع : حرص السلف على السنة وتمسكهم بها وتطبيقهم لها .

ـ **الخاتمة ، أحسن الله تعالى ختامنا جميعاً .**

ولما كان الموضوعُ طويلاً جدّاً ، والآيات القرآنيةُ كثيرةً جدّاً ، اجتهدتُ في الاعتماد عليها ، وجعلتُها هي المدار ، وأذكر من الأحاديث النبوية تكملة للموضوع ، على أن يكون بشكل مختصر جدّاً ، بمقدار هذا المجلد ، وإلا فكل باب منها يُكتبُ فيه مجلّدٌ كبير .

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل وكل أعمالي خالصاً لوجهه الكريم ، ويجعله ذخيرة ليوم ألقاه ، ويجعل له القبول بين عباده ، ويرزقني التوفيق والسداد والصواب ، والصدقَ في القول ، والإخلاص في العمل ، ويغفر لي ولوالدي ولوالد والدي ، ولأخوتي وأولادي وأزواجنا ولمشايخنا ، ولمن له حقٌّ علينا ، ويشافي مرضانا ومرضى المسلمين ، ويبارك في سمعي وبصري وذاكرتي وقوتي ، ويجعله الوارث مني ، ويحفظني فيما بقي من العمر ، ولا يردني إلى أرذله ، وأن

يُصلحَ لي نِيّتي وذرِّيّتي ، ويرزقنا حسن الختام من غير ابتلاء ولا محنة ، والحشرَ تحت لواء النبي المصطفى الكريم ﷺ .

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد ، وعلى آله الطَّيِّبين الطّاهرين ، وصحبه الكرام المبَجَّلين ، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين ، والحمد لله رب العالمين .

المدينة المنورة ، ليلة الجمعة ، ربيع الأول ، ١٤٠٠هـ

وكتب

أبو إبراهيم

خليل بن إبراهيم مُلّا خاطر العزّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆

تمهيد

العداء للسنة النبوية منذ القدم حتى العصر الحاضر

الصراعُ بين الحق والباطل قديمٌ ، وتربصُ الشر بالخير قديمٌ ، ومحاولةُ إغراء المؤمن وردِّه عن دينه قديمةٌ جدّاً ، قدمَ الإنسان على هذه الأرض ، بل منذ أقسم إبليس أمام الله تعالى على احتناك ذرية آدم . ومن مظاهر الصراع : العداء للسنة النبوية ، فقد بدأ منذ اللحظات الأولى ، وما زال إلى يومنا هذا

العداء للسنة النبوية في العصور الماضية :

لقد ابتليت السنة النبوية الشريفة ـ ولحكمة يريدها الله عز وجل ـ يوم صدورها من النبي الكريم ﷺ بمشكِّكين ، عندما قالوا لعبدِ الله بنِ عَمرِو بنِ العاص رضي الله تعالى عنهما : (تكتب كلَّ شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسولُ الله ﷺ بَشَرٌ ، يقول في السخط والرضى ؟).

لكن تشكيكَهم وشكَّهم زال عندما سمعوا رسول الله ﷺ وهو يعلن للناس كلهم ، وهو يخاطب عبدَ الله بنَ عَمرٍو رضي الله تعالى عنهما ، بعد ذكره له مقالةَ مَن شَكَّك : «اكتب فوالذي نفسي بيده ، ما خرج منه ـ وأشار إلى فيه ـ إلا الحق»[1].

إن هذا التشكيك ـ الذي صدر من هؤلاء ـ لم يكن باعثُه ـ والله تعالى أعلم ـ الحقدَ والبغضَ للشريعة ، ونبيِّها ﷺ ، وإنما كان فيما يبدو ـ والله تعالى أعلم ـ أنهم ظنوا أنه ﷺ مثلهم غير معصوم ، ولم تستوعب عقولُهم عصمةَ قوله ﷺ ، ظنّاً أن الغضب والسخط يؤثران فيه كما يؤثران في سائر البشر ، حتى بيَّن لهم ﷺ أنه

---

(١) سبق تخريجه ص (١٠) فانظره هناك ، وقد رواه أحمد ، وأبو داود ، والدارمي ، والحاكم ، وابن عبد البر ، وهو صحيح .

ليس مثلَهم ، وإن كان بشراً ، لأنه مؤيد ومعصوم ، ولا يقول إلا الحق ، سواء كان ذلك في حال الرضا ، أو في حال السخط ، فإن ذلك لا يخرجه عن العصمة والتأييد ، والله تعالى أعلم .

اللهم إلا إذا كان المتكلمون من المنافقين ، وليس في قريش منافقون .

لذا كان في تقرير النبي ﷺ لعبد الله بن عَمْرو رضي الله تعالى عنهما فيما فعل ، وأمره له بالاستمرار بالكتابة ـ إزالةٌ لما في نفوسهم جميعاً من شبهة ، وتقريرٌ لصحة ما فعله ابن عَمرٍو رضي الله تعالى عنهما ، وأنه ﷺ معصومٌ ـ حتى في حالة الغضب ـ وأنه ﷺ يختلف عن سائر البشر ، بالعصمة والتأييد ، والله تعالى أعلم .

إلّا أن الذي حَدَث من عداوة وحقد ،... إنما كان في أواخر القرن الثاني وبدء القرن الثالث الهجري ، حيث كان قد دخل في الإسلام أناسٌ لم يكونوا مقتنعين به باطناً ، هم خليط من الفرق الباطنية والزنادقة والملاحدة والرافضة ؛ كان هدفهم من دخولهم فيه ضربه من الداخل ، فأسلموا فيه ظاهراً ، وبقوا على كفرهم باطناً .

لقد تمركز أغلبهم في البصرة وما حولها ، فأعلنوا عداءَهم للسنة النبوية الشريفة بشكل صريح ، وطالبوا بإلغائها كلها ، ولو كانت متواترةً ، مدعين الاكتفاء بالقرآن الكريم لا غير ، مستدلين لمذهبهم بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية ، على زعمهم ، وتناقل الناس آراءَهم وأقوالهم .

فقالوا : قال الله تعالى : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[1].

وبما كانوا قد وضعوه كذباً وزوراً ، ونسبوه إلى رسول الله ﷺ : (ما جاءكم عني من حديث ، فاعرضوه على القرآن ، فإن وجدتم له أصلاً فخذوا به ، وإلا فردوه)[2]. وهذا الحديث لا أصل له .

---

(١) سورة الأنعام (٣٨).

(٢) هو حديث موضوع ، وضعته الزنادقة ، قاله يحيى بن معين رحمهم الله تعالى تعالى ، وكذا =

كما ظهر إلى جوار هؤلاء أناس آخرون ؛ من المعتزلة والخوارج ، وإن لم يكونوا مثلهم .

قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى ـ في كتابه النافع (مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة)[1] مبيناً أصل مذهب هؤلاء المنكرين ، وزمان وجودهم ، وأصلُ هذا الرأي الفاسد ـ : أن الزنادقة ، وطائفةً من غلاة الرافضة : ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنة ، والاقتصارِ على القرآن ، وهم في ذلك مختلفو المقاصد .

ـ فمنهم : من كان يعتقد أن النبوةَ لعليٍّ ، وأن جبريل عليه السلام أخطأ في نزوله إلى سيدِ المرسلين ﷺ ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

ـ ومنهم : من أقرَّ للنبي ﷺ بالنبوة ، لكن قال : إن الخلافة كانت حقاً لعليٍّ ، فلما عدل بها الصحابةُ عنه إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنهم أجمعين : قال هؤلاء المخذولون ـ لعنهم الله ـ : كفروا حيث جاروا ، وعدلوا بالحق عن مستحقه ، وكفّروا ـ لعنهم الله تعالى ـ علياً رضي الله تعالى عنه أيضاً ، لعدم طلبه حقّه .

فبنوا على ذلك رد الأحاديث كلها ، لأنها عندهم ـ بزعمهم ـ من رواية قومٍ كفارٍ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وهذه آراء ما كنت أستحل حكايتَها أصلاً ، لولا ما دعت إليه الضرورةُ ؛ من بيان أصل هذا المذهب الفاسد ، الذي كان الناس في راحة منه من أعصار .

= قال الخطابي والصغاني رحمهم الله تعالى ، ورده الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في الرسالة ، وقال : هذه رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء.اهـ.

وانظر : الرسالة (٢٢٥) وتذكرة الموضوعات (٢٨) وكشف الخفاء (١ : ٨٢) وعون المعبود (٤ : ٣٢٩) من الطبعة الهندية ، والدر الملتقط في تبيين الغلط للصغاني (٤٣) وموضوعاته أيضاً (٢٢ رقم ١٣٤).

(١) مفتاح الجنة (٦ ـ ٧).

وقد كان أهلُ هذا الرأي موجودين بكثرة في زمن الأئمة الأربعة فمن بعدهم، وتصدى الأئمةُ الأربعة وأصحابُهم في دروسهم ومناظراتهم، وتصانيفهم، للرد عليهم.اهـ.

وقال رحمه الله تعالى أيضاً في آخر كتابه المذكور[1] ـ في معرض كلامه على هذه الفرقة ـ: والعجب من هؤلاء حيث ضلَّلوا الصحابةَ [رضي الله تعالى عنهم] وردّوا الأحاديثَ، لأنها من رواياتهم، وذلك يلزمهم في القرآن الكريم أيضاً، لأن الصحابة [رضي الله تعالى عنهم] الذين رَووا لنا الحديثَ، هم الذين رووا لنا القرآن، فإن قبلوه: لزمهم قبولُ الأحاديث، إذ الناقل واحد.اهـ.

وقد ذكر الإمام الشافعي رحمة الله تعالى عليه في مقدمة (جماع العلم) هذا المذهب، وذكر الشبه التي تمسك بها هؤلاء في رد السنة النبوية الشريفة كلها، وذلك على لسان أحد أئمتهم ـ والذي يظهر أنهم كانوا في البصرة ـ عندما ناظره ورد على شبهه التي أثارها، وبيَّن له زيفَها وبطلانَها، وذكر له الحججَ القاطعةَ على ضلاله وبطلان حججه، فلما تبين لهذا المناظر بطلانُ حجته، وزيف شبهه، أعلن توبتَه ورجوعَه عن مذهبه الذي كان ينتحله[2].

كما ظهر إلى جوار هؤلاء الزنادقة والباطنية والرافضة منكري السنة، أناسٌ ينتسبون لأهل الرأي ظاهراً، وأما في حقيقتهم فهم معتزلة، وجلُّهم كان يسكن بالكوفة وبغداد، فقد أنكروا خبر الواحد، وأخذوا بالحديث المتواتر والمشهور ـ حسب رأي الحنفية لاحسب رأي المحدثين[3] ـ وردّوا حديث الآحاد، متعلِّلين

---

(١) مفتاح الجنة (٧٥).

(٢) انظر: جماع العلم.

(٣) ينقسم الحديث عند جمهور المحدثين وعامة الأصوليين إلى قسمين: متواتر وآحاد، وينقسم الآحاد إلى: مشهور وعزيز وغريب. بينما ينقسم الحديث عند الحنفية إلى ثلاثة =